



صوت الجنوب نيوز 2.10.2006 / لطفي شطارة

سياسة الكيل بمكيالين التي اتهم بها الرئيس علي عبد الله صالح أمريكا في علاقاتها بين العرب وإسرائيل في أحد حواراته الأخيرة إثناء حملته الانتخابية ، نسي الرئيس صالح أنه يمارسها وبكل تمييز وبجدارة بين شعبه ، وهو من يكيل بمكيالين بين محافظات وأخرى وبين قبائل وأخرى .. أليست أشهر قبائل الجنوب كالمضلي قبائل يافع والعوالق في شبوة و همدان قبائل حضرموت ، يجب مساواتها او على الأقل معاملتها مثل قبائل الشمال بكيل وحاشد ومدحج وقيفه وعبيدة وغيرها من القبائل الحاضرة بصماتها في عبق التاريخ القديم ولما تزال .

ولما ادري ما هو السر في التفريق بين قبائل وقبائل من قبل السلطة التي تمارس بينهم هذا التمييز المقزز.. حاولت أن أجد جوابا يشفي تساؤلاتي لما يجري في شبوة وبتعمد مقصود من السلطة .. لمصلحة من يجري تفتيت شبوة وقبائلها ومن قبل الدولة ، هل هو الغاز الموجود في أراضيها ؟ .. ولم استطع حل لغز المتناحر بين قبائل شبوة وبإيعاز من المتنفيين المرسلين من السلطة ، هل هو النفط الذي تتفجر آبارها من باطنها ؟ .. والله لم أجد إجابة على هذا التحامل المحموم من قبل النظام على هذه المحافظة الغنية والمسالمة والمعروفة بأصالة قبائلها وشجاعة رجالها ، لما أنه أسلوب متعمد وتنفيذا لسياسة قذرة لا أخلاقية تنتهجها السلطة " بصمتها " على ما يجري ، في اتباعها سياسة " فرق تسد " .. أليس الرجال الذين يتساقطون في شبوة بدافع المآثرات هم أبناء لهذا الوطن ام دخلاء عليه .. أليست القبائل التي تتناحر وبتحريض غير ظاهر من السلطة هي قبائل تنتمي لهذه الأرض ام أنها قبائل غازية جاءت لتتفيد .. لم استطع أن أفهم هذه السياسة المنظمة التي تتبعها السلطة في التدجين والحط من قيمة قبائل شبوة ، وإشغالهم بتناحرات قديمة ليتفرغ متنفذي السلطة في بسط هيمنتهم ونهب ثروات المحافظة والاستيلاء على الأراضي ، ورمي شبابها إما إلى سوق البطالة ، او ليواجهوا فوهات البنادق ويسقطوا ضحايا لثارات قديمة تعتمد السلطة إحيائها كما يقول أبنائها .

ما دفعني الى طرح هذه القضية هو الغليان الذي بلغ الحلقوم في محافظة شبوة ، بالإضافة الى خطورة الموقف الذي تستهين به السلطة في تعاملها وتمييزها بين قبائل وقبائل ، وعدم إدراكها بخطورة اللعب بالنار وفي محافظة مثل شبوة المعروف عنها بكبرياء قبائلها وصدابة رجالها .. فلم يمر أسبوع على أداء الرئيس علي عبد الله صالح

الييمين الدستورية في البرلمان كرئيس للجمهورية لولاية أخيرة مدتها سبع وفقا للدستور الحالي ، حتى نكت بعهدده والذي ورد في خطابه بتوفير الأمن والاستقرار في البلاد ، وأنه كرئيس للجمهورية ليس رئيساً لحزب بعينه وأنه ينظر للجميع دون تمييز ، وما فهمناه من تلك العبارات التي وردت في خطاب القسم ، أن اليمينيين سيكونون سواسية في نظرية الرئيس إليهم .

والمؤسف أن الذي يحث بالقسم وبهذا التعهد هو الرئيس نفسه ، ليثبت عكس ما حلف به أن اليمينيين ليسوا سواسية ، بل هناك زنوج حمر وهناك سكان أصليين ، وليؤكد أنه لا أمن ولا استقرار إلا إذا استخدم القوة المفرطة لينقض بها وعوده عندما صدرت الأوامر لمحافظ شبوة العميد علي محمد المقدشي بتحريك قوة عسكرية للقبض على خاطفي السياح الفرنسيين وبالقوة ، حيث داهمت قبل ثلاثة أيام قوة أمنية معززة بخمسين طقم عسكري في محاولة لاستعراض القوة ، وكأنها مستعدة للاشتباك ضد قوة تقابلها بنفس العدد والعدد ، وليس لإحضار مجموعة من الشباب كانوا في منزل المغفور له الشيخ/على الدابسي الواقع على الخط العام بمدينة حبان قبيل أذان المغرب ، واستخدمت القنابل المسيلة للدموع بكثافة شديدة مع إطلاق الأعيرة النارية من الدوشكا والمار بي جي صوب المنزل ، وقد أصابت طفل صغير في رأسه إصابة بليغة ، ووالدته التي أصيبت بإصابات طفيفة ، وتمكنت القوات من القبض على "المشتبهين" بخطط السياح الفرنسيين وهم خمسة أطفال من أبناء الدابسي تتراوح أعمارهم بين الـ 16-18 عام ، إضافة إلى اثنين من قبيلة الدولة التي يتزعمها ابن الوزير كانوا رهائن عند الخاطفين من ال عبد الله بن دحه .

وكلنا يعرف بأنه لا يستطيع أي محافظ أن يصدر أوامر بتحريك قوة عسكرية واستخدام الذخيرة الحية ومداهمة حرمان البيوت بدون موافقة أو حتى علم رئيس الدولة ، والذي يعتبر القائد الأعلى للقوات المسلحة ، فكيف والأوامر صدرت لتحقيق هدفين مدمرين .

المهدف الأول هو القبض على الخاطفين الذين أخرجوا عن السياح الفرنسيين بعد تدخل أحد مشايخ شبوة الذي تدخل لتسوية القضية بين الدولة وتلك القبائل التي اختطفت السياح ، والسبب أن السلطة ماطلت في تسوية قضية ثار هم طرف فيها مع قبيلة أخرى ، وبهذا تكون الدولة قد وجهت رسالة واضحة أن "الهنود الحمر" لا شرعية لقبائلهم ولا مهادنة معهم إلا "بالصميل" ، وهو منطق ربما يكون مفعوله وقتي ويحقق للدولة أغراض آنية ، ولكنه منطق يرفع من الغضب لأنه يחדش بسمعة القبيلة ، وينقض العرف القبلي الذي اعتمدته الدولة لتسويات سابقة ولمحادثات اختطاف جرت بنفس الطريقة وفي محافظات كثيرة ولم يجري إنهاؤها بالطريقة التي جرت وتجري

مع قبائل شبوة .

المهدف الماثنى هو تركيع ابن الموزير حفيد سلطان العوالمق ، وسمى بالموزير لأن والده كان وزيرا فى حكومة الماأأاء المفيأرالمية اأناء الحكم المبريطانى ، وبعد المأأكد من وصول المسياأ المفرنسيين إلى بلادهم وتلقى الرئيس صالمأ برقية تهنئة على هذا العمل من الرئيس أاك شيراك ، والمشيخ ابن الموزير كان طرفا فى المأسوية بين المأاطفين والمسلطة ، وبأوامر من الرئيس على عبد الله صالمأ شخصا حسب تأكيدات مصادر موأوق بها فى شبوة لىوفى بآعهداته المآى قطعها على نفسه أمام شاشات المألفزيون قبل الماأناأبات ، عندما أكد أن المسياأ المفرنسيين سيفرج عليهم بعد إعلان الماأناأ ، وكان الرئيس واثقا من قدرة ومكانة المشيأ العوالمقى الذى أعطاه الرئيس ووجهه وأوكل إليه المهمة للمأافوض والمأفراج عن المأأطفين ، والمشيخ ابن الموزير الذى ينتمى لأأكبر قبائل شبوة العوالمق ، هو نفسه المشيأ الذى أصر على مآأارة مآافظ شبوة المأقدشى بعد أن قال علنا أمام أبناء المأافظة العوالمق ، لقد أأنا شبوة بالمأبابة وسنظل فيها بقوة المأبابة .. هذا هو منطأ السكان الأصلين والمهنود الحمر ، هذا هو منطأ عصابات تكساس وقطاع المأرق ولس منطأ رجل دولة .. بل هذا هو المنطأ الذى يجعل أبناء المأناوب يشعرون أنهم أأا أأأال ولسوا فى وطن وأأا المأمع فى سواسية لأ اسأعاء ولما اسأعاء ، أأا المأافظ بعد أن أصرأ قبائل شبوة على ذلك المنطأ لأنه أأاى وأهان أبناءها ومس من كبرياءهم .. وبعد أن فشأ الوساطة المآى قام بها أائب الرئيس عبد ربه منصور هادى ووجهاء آأرين .. كانت فى عقل الرئيس خطة لىس لآأبيت الماسأقرار فى المأافظة ، بل لأضرب ما اعأأده الرئيس أو من أوحى إليه من مسأشاريه بأأنه أأا وعصيان على المسلطة ، وبألا من أأكيل لأنة لأأق فى المأاأ الذى أفع بأبناء شبوة لأأا المأافظ منها ، ومن أأ مآاقبة المأسبب فى ألك المأزمة ، قرر الرئيس الموقوف إلى أانب المأافظ لأ المأافظة وأبناءها ، وأأى أون الماسأماع لأأسباب المآى أفعأ بقبائل شبوة إلى أأا ، وأأق أهأه فى الماسناأرىو المأأير بمنأ المأافظ صلاأية المأبض على المأسأبين مهما كلف المأا ، وأأ ظهر ذلك بأوضوح فى عأا المأأقم والمأريقة المآى أأ فى المأبض على المأسأبه بهم ، وأأأيلهم إلى صأعاء ، فلماأا لأ أأق معهم وىأأكمون فى شبوة موقع ومكان المأاأ ، وىعاقبون فىها إذا أأأ أورأهم فى المأاأ ، ولماأا لم أأأأا المأولة ورئيس المأولة سلأأه فى أأ مثل هذه المأأايا كألك المآى أأها فى مآافظات آأرى وبأون أن ىأفع الموضع إلى المأأا بين المسلطة والمأائل .. ولماأا لم أأرى هذا الماسناأرىو وهذا الماسأراض المأأأ للآوة عندما أأ أأأأاف المسياأ المايأالميين فى مأرب والمأراج عنهم فى 7 ىأاير من هذا العام ، هل لأوف المسلطة من رة فعل قبائل مأرب فى أال أأاى المأولة وإألاق رصاصة وأأة على من

قام بتلك العملية مهما كانت الأسباب والمبررات ، وهي بالمناسبة نفس الأسباب التي قادت إلى عملية اختطاف السياح الفرنسيين في شبوة ، أي تجاهل السلطة وإيداع الناس في المسجون وبدون محاكماتهم يدفع القبائل إلى العودة إلى المنطق الذي يجعل الدولة تلتفت لمطالبهم لأن للأجنبي قيمة ودمه دم ام دم اليمني ماء .

فلهذا إن ما يجري في شبوة اليوم هي محاولة لكسر العظم من قبل السلطة ضد قبائل المحافظة ، وإذلال حتى لمن وقف إلى جانبها أثناء أزمة المختطفين ، ولكن دون إعطاء أي فرصة للعقل في التفكير بعواقب مثل هذا التصرف ، في محافظة هي في غليان مستمر بسبب تدخلات الدولة ومتنفيذها في حياتهم الخاصة ، وهناك من يقول ويؤكد أن الدولة هي من تغذي الآثار فيها للأسباب التي ذكرتها سلفا ، فهل يعقل أن من أقسم بأنه سيحقق الأمن والاستقرار ، يعتقد أن ذلك سيتحقق وستدفع الاستثمارات إلى البلاد في ظل تفكير سلطة وبهذا المنطق الانتقامي غير المقبول .

قضية شبوة ستكون البؤرة التي ستفجرها الدولة على نفسها إن اعتقدت أنها ستمارس إذلال محافظة وقبائل من أجل محافظ يقول انه جاء على ظهر دبابة ، أو اعتقدت أنها ستركع شيخ ذات نفوذ كبير أعطاه رئيس الدولة وجهه ومنحه الأمان للتفاوض نيابة عنها مرتين ، المرة الأولى عند اختطاف الدبلوماسي الألماني وأسرتة ، وهذه المرة أيضا في حادثة السياح الفرنسيين ، تم ينكث بوعده مرتين بعد أن خلصها ذلك الشيخ من ورطة هي متسببة فيها بعدم جديتها في وضع حد لقضايا الآثار بدلا من تشجيعها ، وعدم سماعها لأراء أبناء المحافظة في شخص واحد وهو المحافظ ، بل تصرف السلطة يؤكد أنها ستفرض شخصا واحدا حتى ولو سالت الدماء من أجل ذلك ، فعن أي وحدة وطنية ووثام ينشده الرئيس وهو يشجع مبدأ القوة وينكث بالوعد ، وعن أي استقرار أقسم بتحقيقه إذا كان سيتحقق بـ 50 طقم ومئات العسكريين لاقتحام منزل وإصابة امرأة وطفل وفي محافظة تسيل فيه دماء الأبرياء ضحايا الآثار .

فعقلوها واستمعوا الى أنين شبوة المذنين شردتم أهلها وأحييتهم الآثار فيها ، وزرعتهم المرعب في قلوب شبابها بسبب الآثار ، وجعلتم أغنى أبنائها المنتشرين في كل دول الخليج يفرون منها بسبب فرض الترغيب من خلال منطق الجباية او الترهيب في التذكير بثاراتهم القديمة .

منطق القوة والاستهانة بقبائلها لن يجلب إلى شبوة الأمن والاستقرار ، وفرض حاكم عسكري أرعن "علي محمد المقدشي" لا يعني أنه سيفرض وبالقوة منطقكم الأهوج في تثبيت معادلة السكان الأصليين والهنود الحمر .. فشبهة لها تاريخ عريق وقبائلها لها بصمات ذائعة في بطن التاريخ ورجالها أشجع من اسود البراري .

صحافي وكاتب بريطاني - يمني مقيم في لندن

Lutfi_shatara@yahoo.co.uk